براءة أحمد بن ماجد من تهمة إرشاده للبرتغاليين إلى الهند

م.م. تماضر عبد الجبار إبراهيم
الجامعة المستنصرية-كلية التربية الأساسية

المقدمة

اخترت موضوع دراسة الملاح احمد بن ماجد الربان والأديب والشاعر والفلكي والجغرافي، بعد ان وجدت وثيقة تثبت براءة ابن ماجد من ارشاده للبرتغاليين في عام ٢٠٠٠م، على الرغم من انجازاته القيمة وعلومه ومؤلفاته البحرية التي تركها للعالم، دون النهروالي بعد ثمانين عاماً من هذا الحدث ، الرحلة وألصق به تهمة وصول البرتغال الى الهند ، دون ان يستند على حجة او دليل يثبت التهمة عليه بينما المؤرخون المعاصرون للحدث لم يذكروا احمد بن ماجد ولا فاسكو دي غاما ولا أي شيء عن الرحلة ، مما ادى الى تحامل العرب عليه ، بعد الشهرة الواسعة التي اكتسبها ، وما يميز ابن ماجد والملاحين العرب عدم وجود دولة تؤيدهم وتمكنهم من توسيع نشاطهم، ولكنهم كانوا ليوث البحر ويعملون دون حماية رسمية من الدولة وكل ما وصلوا اليه من منجزاتهم العلمية وتوسيع مجال نشاطهم كان بفضل علمهم وجهودهم وبسالتهم .

تناولت في موضوع البحث ، مبحثين : المبحث الأول تضمن حياة ابن ماجد ثم تطرقت لاعماله البحرية ومؤلفاته باختصار ثم تناولت آلات القياس عند ابن ماجد .

اما المبحث الثاني فقد تطرق لعلاقة ابن ماجد بالبرتغال ، وحاولت في هذا المبحث توضيح كل الروايات والأحداث المتعلقة برحلة فاسكو دي غاما الى الهند، ثم تحدثت عن آراء المؤرخين العرب في دحض هذه التهمة ، ثم اختص الموضوع الأخير بالمخطوطة التي توضح هوية المرشد المتعاون مع البرتغاليين مع الحاق البحث بالترجمة العربية للمخطوطة التي تخص هذا الموضوع .

المبحث الأول

أ- حياة ابن ماجد:

هو شهاب الدين احمد بن ماجد بن محمد بن عمرو بن فضل بن دويك بن يوسف بن حسن بن حسين بن ابي معلق السعدي بن أبي الركائب النجدي [١] ، ويدل نسبه على ان اصل اجداده من الشمال العربي (نجد) ، غير انه ولد بخلفاز على الساحل العربي لخليج عمان[٢]، حوالي عام (٨٣٩هـ – ١٤٣٥م) ، وتوفي بعد عام (٩٠٦هـ – ١٥٠١ م)[٣]. والموقع الجغرافي لموطن ابن ماجد تحكم في اختيار مهنة عائلته. فموقع عمان عند

مدخل المحيط الهندي وعلى شاطئ الخليج العربي ، أي على طرق التجارة المنتعشة من اسواق المحيط الهندي او حول بغداد ، وعلى الضفة الأخرى المدن الايرانية منها (سيراف وخوارزم) كانت المركز الدولي للتجارة البحرية، وعلاقتها التجارية مع الشاطئ الشرقي لافريقيا ومدغشقر والجزء الغربي من الهند وسيلان وجزر اندونيسيا ، وعلاقتها التجارية مع الصين ايضاً.(٤)

ابن ماجد من اسرة اشتغل افرادها بقيادة السفن ، فجده وابوه كانا معلمين في عالم الملاحة والأدب والأسطورة (٥) ، وتحدث ابن ماجد عن جده وابيه في عالم البحر والسفن قائلاً (كان جدي عليه الرحمة محققاً ومدققاً ولم يقر لاحد فيه، وزاد عليه الوالد رحمة الله عليه بالتجربة والتكرار وفاق علمه علم ابيه. فلما جاء زماننا هذا وكررنا قريبا من اربعين سنة وقدرنا علم الرجلين النادرين وارخناه وجميع ما جربناه وارخناه انكشف لنا عن اشياء وحكم) (٦) ، ولقب ابوه (بربان البرين) أي بر العرب وبر العجم او ساحلي البحر الاحمر ، ودون الأب تجاربه البحرية في مصنف ضخم هو "الارجوزة الحجازية " التي تضم اكثر من الف بيت في وصف الملاحة على سواحل البحر الاحمر، وأمكن ابن ماجد ان يستدرك بعض التصحيحات على ابيه اعتماداً على الملاحظة الشخصية ويضيف إليه بطريقة منتظمة.(٧)

يعد ابن ماجد من كبار ربابنة البحر في عصره ، وخبيراً بالبحار الشرقية وشواطئها ، تولد ذلك لديه نتيجة لخبراته الشخصية والخبرات السابقة التي اكتسبها، ولذلك فالجغرافية الوصفية التي مارسها المؤلفون العرب في العصور الوسطى ولا تتطلب بالضرورة رؤية المناطق التي يجري وصفها ، عكس الجغرافية الملاحية التي تتطلب التفاعل الحي، الخلاق بين العموميات النظرية والمجهودات العلمية ، ويظهر هذا الشيء بوضوح في اعمال ابن ماجد.(٨)

اطلع ابن ماجد على كثير من الكتب في فنون مختلفة منها كتاب معرب المجسطي البطليموس وكتب البناني وكتاب ابي حنيفة الدينوري وكتاب المشترك لياقوت الحموي وكتب ابن سعيد وكتب ابن حوقل ، وبلغ في علم الفلك وفن الملاحة ومسالك البحار والاقوام ما لم يبلغ غيره ممن تقدمه اوعاصره او لحق به(٩). ونشاطه الملاحي انحصر في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي بين سنوات (٨٣٥-٨٤٠هـ) بالرجوع الى قصيدته المسماة ضريبة الضرائب ذكرها عام ٩٠٠هـ وفيها

ذكر ايضاً ان عمره تجاوز ستين حجة. وبعض المؤرخين البرتغاليين في القرن السادس عشر نسبته جهلاً الى اصل هندي واسموه (بحار الجوزرات) او (بربري الجوزرات) (١٠).

ولقب ابن ماجد نفسه عدة ألقاب مثل (ناظم القبلتين مكة وبيت المقدس) و(حاج الحرمين الشريفين) و (اسد البحار الزخار) و (خلف الليوث) و (المعلم العربي) و(شهاب الدنيا والدين) و (ليث الليوث) و (رابع الليوث) و(رابع ثلاثة) من العلماء المشهورين في البحر وهم محمد بن شاذان وسهيل بن ابان وليث بن كهلان.(١١)

واثناء ركوب ابن ماجد البحر الاحمر عند ساحله الغربي في عام (٨٩٠هـ – ١٤٨٥م) كتبت له السلامة لاعتماده على قول ابيه بانه لا يوجد ممر بين جزيرة أسما ومسند (الى الجنوب من خط ١٧ درجة شمالاً) ذلك على خلاف زعم بقية الربابنة.(١٢)

تحدث ابن ماجد عن المعلومات التي اضافها الى اسلافه في علم الملاحة البحرية، وتوضح اوصافه لجميع الاجزاء المهمة في المحيط الهندي ، وعرف بتعمق الطرق البحرية عبر هذا المحيط ، واعطته تجاربه الطويلة خبرة وشهرة جعلته يعترف بانه من افضل الملاحين الذين سبقوه ولا يوجد من يضاهيه في عصره، وقال عن الابحار في البحر الاحمر والبحار المرتبطة به (لم يجرها في زمان غيري... ولم اذكرها في هذا الكتاب خوفاً من ان يقع عليها السفهاء ويجادلون بها العلماء فيسيرون في معرفة لقياسات في هذا البحر وجزره، فتركناها كي لا يدرك الا من اكثر السفر فيه)، واعترف بانه من ابرز الملاحين الذين يمرون في المحيط الهندي ، وقال عن نفسه (واما معرفة البحر وجزره ، ففي الافاق من هو اخبر مني موجود)(١٣).

استكمل ابن ماجد مسيرة جده وابيه ومن سبقوه من ملاحي الخليج (أدباء المرشدات البحرية الأوائل) ، ووجه اليهم النقد وصحح الكثير من معلوماتهم واضاف اليها الكثير من خلاصة تجاربه البحرية وثقافته وأدبه، وأسلوبه العلمي والأدبي في ابداع أدب المرشدات البحرية وصياغته وتصحيحه لاقوال سابقيه، وخاصة الثلاثة الذين عد نفسه رابعهم (أسمائهم في الصفحة السابقة)، واعتمد على تجاربه العملية البحرية ونظمها في اراجيز وقصائد شعرية ، فقال (وقد عظمنا علمهم وتأليفهم وجللنا قدورهم رحمه الله عليهم بقولنا أنا رابع الثلاثة ، وربما في العلم الذي اخترعناه في البحر ورقة واحدة تقيم في البلاغة والصحة والفايدة والهداية والدلالة باكثر ما صنفوه ... وهم مؤلفون لا مجربون ، ولم

اعرف لهم رابع غيري ، وقد وقرتهم باني رابعهم لتقدمهم في الهجرة فقط وسيأتي بعد موتي زمان ورجال يعرفون لكل أحد منزلته ولما اطلعت على تاليفهم ورأيته ضعيفاً بغير قيد ولا صحة بالكلية ولا تهذيب ، هذبت ما صح منه وذكرت الاختراعات التي اخترعها وصححتها وجربتها عاما بعد عام في نظم الاراجيز والقصايد).[١٤]

يذكر الرحالة المشهور برتون Sir Richard Burton أن ملاحي عدن في منتصف القرن التاسع عشر كانوا ينسبون اختراع (البوصلة) الى ولي من اهل الشام يدعى الشيخ ماجد ويقرؤون الفاتحة على روحه قبل ركوبهم البحر. واسم ظهرة (ابن ماجد) كان يطلق على موضع بالساحل الشرقي للبحر الاحمر قرب جزيرة المرما، لان اباه كان يربط سفينته في ذلك الموضع .[١٥]

نستدل من اقوال ابن ماجد على تفهمه وادراكه لعدم تسرب أي معلومات، ربما يستغلها من يعثر عليها في السيطرة على البحار ، ولذلك دون خبرة في الشعر العربي الذي لا يفهمه الا من هو اصله عربي ، واحتفظ بالمعلومات المهمة في الابحار في البحر الأحمر والمحيط الهندي ، خوفاً من ان يستغل خبرة المستعمر والمحتل.

وان اسم ابن ماجد وجد طريقه الى المؤسسات العلمية الأوربية منذ بداية القرن التاسع عشر، الا ان معرفتهم عن الاصول العربية لمصنفاته تأخر الى عام ١٩١٢[١٦].

يمكن القول بان احمد بن ماجد نشأ وتربى منذ الصغر في بيئة اهلته بان يكون ملاحاً بارعاً وانجازاته القيمة في أدباء المرشدات البحرية، اما المعلومات الملاحية والجغرافية والعلمية التي ورثها عن جده وابيه اضاف عليها خبرته وعلمه ووضعها في خدمة الملاحين والبحارة. وابن ماجد دون خبرته الشخصية ومعلوماته الملاحية في الشعر مما سهل انتشار علمه وعدم ضياع خبرته وزاد شهرة بان يكون من افضل الملاحين.

ب- اعماله البحرية ومؤلفاته:

ان ابن ماجد هو الرائد والاستاذ والمعلم في ادب المرشدات البحرية ، وهو اديب وعالم وبحار[١٧]، ويبلغ عدد آثاره الموجودة في الوقت الحاضر الاربعين وصاغها شعراً متبعاً المنهج التذكيري القديم ، عدا واحد من مصنفاته كتبت نثراً وهو " كتابه الفوائد في اصول علم البحر والقواعد ".[١٨] ويلاحظ في مؤلفات هذا الملاح عمق الفكرة ولا جمال في التركيب ، ولغة المؤلفات جافة غير مشذبة وهي اما زائدة في الاطناب او بالغة في الاختصار ، فابن ماجد اهتم بالناحية العملية ولم يهتم بجمال التعبير ، والذي يهمه دائماً هو ضبط الفكرة ووضوحها ، أي كان ينظر الى اللغة انها ليست هدفاً وانما كوسيلة

لتوضيح الأمور العملية ، ولم يكن ابن ماجد شاعراً وكان يبتعد عن الشهرة الزائدة التي اطلقها عليه المعجبون به.(١٩)

اذ يعد ابن ماجد شاعر البحر العربي ، فقد جمع بين الخبرة بعالم البحر والعلم بطرق الملاحة البحرية ، والالات البحرية والظواهر البحرية ، وبين الشعر ، ولأنه شاعر فقد صاغ كل فكرة وعلمه وتجاربه شعراً، وقد صور شعره مدى عمق تجاربه وثقافته وحياته الطويلة فوق مياه البحر.(٢٠)

واطلاع الملاح الواسع وتجربته يوضح لنا شخصية الملاح ابن ماجد ومصنفاته، ولهذا عده المستشرق الفرنسي فيران G. Ferrand ذروة الأدب الفلكي الملاحي لعصره ، وهو اول مؤلف للمرشدات البحرية الحديثة ، في وصفه للبحر الأحمر باستثناء بعض التصحيحات في العروض ووصفه الرياح الموسمية والرياح المحلية وطرق الملاحة الساحلية والبعيدة المدى ومعرفته بسواحل المحيط الهندي وجزرة وباندوينزيا ، وتصور ابن ماجد جزيرة جاوة ممتدة من الشمال الى الجنوب على نقيض اتجاهها الفعلي ، والخطأ نفسه تكرر للمؤلف سليمان المهري، ويعتقد فيران ان هذا هو التصحيح الوحيد الذي يمكن اجراؤه على مؤلفات ابن ماجد . وعلاقته بالأدب الهندي كانت قوية وليست اقل من علاقته بالأدب العربي ، وصفات المعلم الماهر التي دونها ابن ماجد في القرن الخامس عشر ، وردت هذا الصفات في المصنف الهندي للقرن الأول للميلاد ، وبهذا الأسلوب اندمجت عناصر مختلفة من الحضارات العربية والايرانية والهندية على قرون طويلة لتكوين مزيجاً في مجال الجغرافيا الملاحية.(٢١)

ونظم ابن ماجد العديد من الاراجيز، وكل ارجوزة تخص موضوعاً بحرياً او طريقاً بحرياً معيناً(٢٢)، وما وصلنا من اراجيزه ما يأتي:-

١- ارجوزة بر العرب (ارجوزة بر العرب في الخليج العربي) وهي قصيدة مؤلفة من مائة بيت ، تستعرض بنوع خاص مطالق الجزر المشهورة في الخليج العربي ولاسيما جزيرة البحرين وخارج ودانس وخيرى وطنب وهنجام.

٢- ارجوزة في قسمة الجمة على انجم بنات نعش بالتمام والكمال ، وقد الفت سنة ٩٠٠ هـ وشملت مائتين واحدى وعشرين بيتاً .

٣- ارجوزة في النتخات لبر الهند وبر العرب من جاه اثني عشر لجاه اصبع من كل بر، وهي في مائتين وخمس وخمسين بيتا ، وتشرح الاقتراب من سواحل الهند الغربية وسواحل شبه الجزيرة العربية .

٤- ارجوزة مخمسة ، وتشمل سبعة عشر مخمسة تبحث في شؤون البحر .

٥-الارجوزة المعربة، وتضم مائة وثمان وسبعين بيتاً عربت الخليج البربري وصححت قياسه من حافوني الى باب المندب، وتم تأليفها في ٩ محرم سنة ٨٩٠هـ.

٦- البليغة في قياس السهيل والرامح ، وهي اربعة وستون بيتاً تقتصر على ذكر قياسات نجمي السهيل والسماك الرامح في الاسفار البحرية .

٧- التائية، وهي قصيدة في خمس وخمسين بيتاً تصف المجاري وتعطي القياسات في البحر الكبير من جدة الى عدن .

٨- تصنيف قبلة الاسلام في جميع الدنيا، وتدعى ايضاً تحفة القضاة، ومهد ابن ماجد لابياتها المائتين والخمس والتسعين ، بمقدمة نثرية في نحو من صفحتين ثم شرح شعراً تحديد القبلة في البحر والبنادر باربع طرق ، وتاريخ القصيدة يوم الجمعة اوائل محرم سنة ٨٩٣م .

٩- حاوية الاختصار في اصول علم البحار، وهي من افضل ما كتب ابن ماجد في علم البحر، وتشمل الفاً واثنين وثمانين بيتاً، لكن العدد يزيد او ينقص عن هذا الحد الوارد صراحة في الحاوية حسب النسخ، وقسمت الى أحد عشر فصلاً تستعرض اشارات يحتاج اليها الربابين، والمنازل والاخنان والباشيات، والسنين وانواعها، ودير بر العرب والعجم والزنج والهند والسيام ، وتعطي وصف جزر المحيط الهندي وخصوصاً قياساتها وتم تأليفها سنة ٨٦٦م .

١٠- الذهبية، وتتألف من مائة وثلاثة وتسعين بيتاً تبحث في المرق والمغزر والعمل عليهما، وتذكر المنكاب والاشائر وصحة الترفا والنتخات بالكوس .

١١- السبعة قصيدة في ثلاثمئة وسبع ابيات، فيها سبعة علوم من علوم البحر غير الفراسة والاشارات.

١٢- ضريبة الضرائب ، وهي رائية من مائة واثنين وتسعين بيتاً تعطي قياسات الفلكية التي حصل عليها ابن ماجد في حياته اثناء ممارسته مهنة معلم بحر .

١٣- عدة الأشهر الرومية وكل شهر كم هو ، وهي نونية من ثلاث عشر بيتاً يدل عنوانها على مضمونها .

١٤- الفائقة، وهي نونية مؤلفة من سبع وخمسين بيتاً في قياس الضفدع وقيدة سهيل .

١٥- القافية، وهي قصيدة في ثلاث وثلاثين بيتاً في قياس النجوم التي يستعملها اهل البحر .

١٦- القصيدة المكية ، وهي رائية مؤلفة من مائة وواحد وسبعين بيتاً لها مقدمة نثرية تحدد موضوعها ، وهو السفر من جدة الى سواحل المحيط الهندي وتثبيت القياسات اللازمة لذلك .

١٧- كنز المعالمة وذخيرتهم في علم المجهولات في البحر والنجوم والبروج واسمائها واقطابها ، وهي لامية في احدى وسبعين بيتاً .

١٨- كتاب الفوائد في اصول علم البحر والقواعد ، وهو في العلوم البحرية .

١٩- كتاب المول ، وهو اشبه برهمانج يستعرض السواحل في المحيط الهندي .

٢٠- المعلقيه ، وهي ارجوزة في مئاتين وثلاثة وسبعين بيتاً تصف المجاري وقياساتها من بر الهند الى بر سيلان وناج وشمطري وبر السيام وملعقه وجاوة ومن كان في طريقهم من الجزر والشعبان .

٢١- ميميه الابدال ، وتتألف من ستمائة وخمسة واربعين بيتاً تعالج ارتفاع النجوم بست طرق متنوعة .

٢٢- نادرة الابدال في الواقع وذبان العيوق ، رائية في سبعة وخمسين بيتاً تبحث في بعض الاسفار وقياساتها .

٢٣- الهادية ، وهي ارجوزة في مائة وخمسة وخمسين بيتاً تبحث في قياس النجوم وفي النتخات والاسفار من بر العرب الى سواحل اخرى ومن تلك السواحل ايضاً .

٢٤- السفاليه ، وهي ارجوزة في ثمانمئة وسبعة أبيات تصف المجاري والقياسات من مليبار وكنكن وجوزرات والسند والاطواج الى السيف الطويل والسواحل والزنج وارض السفال والقمر وما الى ذلك .

٢٥- الفصول ، وعددها تسعة خالية من عنوان اجمالي ، فصل في معرفة قياس المارزة ، واخر في نتخة جوزرات ، واخر في معرفة البلد ، واخر في معرفة ديرة القطب ... وقس على ذلك [٢٣] .

ومن اراجيزه المشهورة (حاوية الاختصار في اصول علم البحار) وهي مختصراً لعلم الملاحية البحرية ، والتي نظمها في مسقط في مدينة راس الخيمة عام ٨٦٦هـ – ١٤٦٢ م ، ومكونة من احد عشر فصلاً ، يبحث الاول علامات الاقتراب من اليابسة ، والثاني في منازل القمر وبيوت البوصلة وفي الاصابع و(الترفا) هو المعادل الجغرافي للفظ الاصبع ويساوي سبعة وتسعين ميلا بحريا أي رحلة يوم بحري وبسرعة اربعة اميال

بحرية في الساعة او اربع عقد ، والفصل الثالث في مسائل التوقيت ، والرابع في المواسم ، ومن الخامس الى الثامن وصف طرق الملاحة المختلفة في المحيط الهندي وبحارة وخلجانه ، والفصل التاسع في الارصاد ، والعاشر والحادي عشر في مسائل الملاحة المختلفة ومنها لفظ يستعمل للقياس هو (زام) وجمعها(ازوام)، ويساوي ثمن يوم بحري بليلته أي يعادل ثلاث ساعات تقريباً.(٢٤)

ومن اراجيزه المشهورة ايضاً تحفة القضاة ، والتي تصف طريقة ايجاد القبلة أي موقع مكة المكرمة بواسطة خطوط الطول والعرض او بالبوصلة.(٢٥)

ومن مؤلفات ابن ماجد المنظومة نثراً هو كتاب (الفوائد في اصول علم البحر والقواعد)، وفيه يفصل ابن ماجد الكلام على الجانبين النظري والعملي للمسائل الملاحية ويعتمد على من سبقه من الملاحين من جهة وعلى تجاربه الشخصية من جهة اخرى، ويخص الكتاب البحر الاحمر والخليج العربي والمحيط الهندي وارخبيل الهند الشرقية الملايو)، والكتاب قد اعاد تدوينه وتنقيحه عدة مرات في اعوام ٨٨٠هـ – ١٤٧٥م و٨٨٢هـ – ١٤٧٨م و٨٩٥هـ – ١٤٨٩م بالتعاقب، وينقسم الكتاب الى اثنى عشر قسماً وكل قسم منها يسمى فائدة ، فالفائدة الاولى تبحث في نشأة الملاحة والكلام على الابرة الممغنطة ، اما الفائدة الثانية معرفته الشؤون البحرية للمعلم الاصيل ، والفائدة الثالثة منازل القمر ، والفائدة الرابعة بمنازل وردة الرياح الاثنين والثلاثين التي تظهر على البوصلة وتسمى (الاخنان) مفردها (خن) ، والفائدة الخامسة تعالج الكلام على الجغرافيين والفلكيين ، والفائدة السادسة عن الطرق البحرية ، والفائدة السابعة في الارصاد الفلكية ، والفائدة الرابعة والسابعة لا تزال مستعملة لدى ملاحوا البحر الاحمر في الوقت الحاضر ، اما القسم الباقي من الكتاب يغلب عليه الطابع العملي التطبيقي، فالفائدة الثامنة في علامات الاقتراب من اليابسة ، وفي قيادة وتوجيه السفينة ، والفائدة التاسعة على السواحل ابتداء من راس الحد في الجزيرة العربية ، والفائدة العاشرة في الجزر الكبار المشهورات المعمورات وهي جزيرة العرب وجزيرة القمر وهي مدكشكر وشمطرة وجاوة والجور (فورموزا) وسيلان وزنجبار والبحرين وجزيرة ابن جاوان وسقطرة ، والفائدة الحادية عشر في المواسم والسفر في البحر ، والفائدة الثانية عشر في صفه بحر القلزم (البحر الاحمر) وجزرة وشعبانة .(٢٦)

ان التاريخين الذين اتم فيهما تاليف (حاوية الاختصار) و(كتاب الفوائد) بين عامي ١٤٦٢-١٤٩٠ يمكن توزيع بقية مصنفات ابن ماجد ، وارجوزة واحد فقط تاريخيا عام ٩٠٠ هـ -(١٤٩٤-١٤٩٥)،وهذا يدل على ان نشاطه الملاحي لم يتجاوز في حدود القرن الخامس عشر ، وكتابه الفوائد يمثل اوج معرفته النظرية وتجاربه العلمية الذي بلغته خبرته في الملاحة وتطبيق نظرياته.[٢٧] ولابن ماجد مؤلفات مفقودة يذكرها في كتاب الفوائد منها (الكتاب المطول) الذي اختصر منه الفوائد ، وقصائد يعددها ويعطي احياناً مطلعها.[٢٨]

وفي عصر ابن ماجد كانت الشروط التي تتوفر في الملاح مدونة ضمن القوانين الهامة للدولة ، والملاح هو قبطان السفينة ويعتبر الرجل الثاني بعد صاحبها وقسم ابن ماجد ربابنة السفن الى ثلاث درجات وهم ادناهم درجة هم ذلك الذي يسلم السفينة، ويليه المعلم الذي درب للذهاب الى مكان معين فقط ولم يترك اثراً بعد موته ، اما الثالث هؤلاء واعلاهم درجة وهو الذي لا يخفى عليه شيء من مشكلات البحر ويدون علماً ينتفع به الملاحين في حياته وبعد مماته. ويضع ابن ماجد العديد من الوصايا التي لابد من الالتزام بها ، ودون ايضا ارشاداته للسفينة والاتها.[٢٩]

جـ- الالات القياس عند ابن ماجد:

يعد ابن ماجد من ابرز الملاحين في العالم في ضبط القياس ، اذ امضى خمسين عاماً في دراسة القياس وضبطه ، والقياس عند الملاحين هو (ارتفاع النجم عن الأفق) (النجم القطبي(الجاه) ونجوم الدب الاصغر ونجوم الدب الاكبر ... الخ) . و(الاصبع) هو وحدة القياس عند ملاحي البحار والمحيطات وبخاصة بحر العرب و المحيط الهندي وابن ماجد يستعمل الاصبع العادية في القياس ، ويعادل الاصبع درجة واحدة وسبعاً وثلاثين دقيقة ، واصل هذه الطريقة غير معروفة . واستخدم ابن ماجد وسيلة اخرى في القياس (اثنا عشر اعودا) وصنفها حسب اصوالها العيدان الصغيرة والعيدان المتوسطة والعيدان الكبيرة ووضع شروط قياس كل مجموعة.[٣٠] وطور ابن ماجد آلات (البوصلة) . ويذكر ابن ماجد ان العرب اخترعوا (الحك) وهو عبارة عن نوع من الابرة المغناطيسية التي كانت تطفو على الماء او بواسطة خشبة ذات طرف حاد واستخدمت الالة في المحيط الهندي في نهاية القرن الخامس عشر ، ومن الالات الأخرى الاسطرلاب والة الكمال والة البلستي .[٣١]

واحمد ابن ماجد ومدرسته هو الجغرافي العربي الوحيد الذي لم يتبع مذهب بطليموس في تقسيم خطئ الاستواء والزوال الى ثلاثمائة وستين درجة ، فلديه يوجد مئتان واربعة وعشرون اصبعاً يمكن الوصول اليها عن طريقتين احداهما ان كل بيت من بيوت وردة الرياح يحتوي على سبعة اصابع والاخرى هو ان كل منزل من المنازل القمرية الثمانية والعشرين به ثمانية اصابع ، وفي كل الحالتين ان الاصبع يعادل درجة وسبعاً وثلاثين دقيقة .[٣٢]

من كل ذلك يتوضح لدينا ، الانجازات والابتكارات القيمة التي تركها لنا ابن ماجد، ولم يكن ربانا فحسب بل اديب وشاعر وفلكي وجغرافي ، ومخطوطه ابن ماجد التي تحتوي اعماله تعتبر اهم وثيقة في الجغرافية الفلكية والملاحية وصلت الى العالم في العصور الوسطى وخاصة عن الملاحة في البحار الجنوبية أي المحيط الهندي، ولاول مرة ذكر اسم (علم البحر) بمعناه الواسع، واهم مؤلفات ابن ماجد كتابه الفوائد الذي يصف فيه العالم من العلوم المضبوطة الفعلية ويمكن للربان من الوصول للبلد المطلوب دون ميل او انحراف حسب خطوط الطول ودوائر العرض وتحديد القبلة، والملاحة الفلكية التي تعتمد على رصد النجوم وتعرف لحد الآن بأسمائها العربية للعالم، والالات القياس التي عرفها ابن ماجد وخاصة البوصلة توضح درجة التقدم التي وصل اليها ابن ماجد والعرب في تلك الفترة .

المبحث الثاني: ابن ماجد والبرتغال

تتناقض الروايات والمصادر في توضيح علاقة الملاح العربي ابن ماجد بالبرتغاليين وارشاده لهم ، بينما تنفي بعض المصادر هذه التهمة الملفقة لهذا الملاح، ومنهم من يذكر حالة السكر التي كان فيها هذا الملاح عند ارشاده البرتغاليين، والآخرون يذكرون ان المرشد رجل غجراتي او هندي او معلم منجم او من الجوزرات هو الذي ارشد فاسكو دي غاما ، ورغم صدور العديد من الدراسات والبحوث التي نفت هذه التهمة واثبت بالادلة براءة ابن ماجد ، لكن استمر بعض المؤرخين والكتاب في اتهام الملاح ابن ماجد ، وسوف اسعى جادة لاوضح كل الروايات والاحداث المحيطة بهذه التهمة ، لكي استطيع ان اتوصل الى حقيقة الملاح العربي ابن ماجد هذه الشخصية الفذة العظيمة والذين سعوا لتشويه صورته في التاريخ الملاحي ، رغم انجازاته القيمة التي تركها للبشرية .

أ- رواية النهروالي:

ان اول المصادر التي تنسب التهمة الى الملاح ابن ماجد ، هو قطب الدين النهروالي* في كتابه (البرق اليماني في الفتح العثماني) (٩٩٠-١٥٨٢)[٣٣]، حيث جاء فيه:

(وقع في اول القرن العاشر عام (١٤٩٥م) من الحوادث الفوادج النوادر دخول الفرتقال (البرتغال) اللعين، من طايفه الفرنج الملاعين، الى ديار الهند وكانت طائفة منهم يركبون من زقاق سبتة (مضيق جبل طارق) في البحر ويلجون في الظلمات (او بحر الظلمات وهو المحيط الاطلنطي) ، ويمرون بموضع قريب من الساحل ، في مضيق احد جانبه جبل ، والجانب الثاني بحر الظلمات ، في مكان كثير الامواج ، لا تستقر به سفائنهم ، وتتكسر ، ولا ينجو منهم أحد ، واستمروا على ذلك مدة ، وهم يهلكون في ذلك المكان ولا يخلص من طائفتهم أحد الى بحر الهند ، الى ان خلص منهم غراب (نوع من السفن البحرية) الى الهند ، فلا زالوا يتوصلون الى معرفة هذا البحر، الى ان دلهم شخص ماهر، يقال له احمد بن ماجد ، صاحب كبير (الفرنج) وكان يقال له (الملندي Almirante) أي الاميرال وعاشره في السكر ، فعلمه الطريق في حالة سكره ، وقال لهم : لا تقربوا الساحل من ذلك المكان (أي الساحل الافريقي)، وتوغلوا في البحر ثم عودوا (أي الى ساحل الهند) ، فلا تتالكم الامواج ، فلما فعلوا ذلك صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم ، فكثروا في بحر الهند ، وبنوا في (كوه) من بلاد (الدكن) ، قلعة يسمونها (كوتا) ثم اخذوا (هرموز) وتقووا هناك ، وصارت الامداد تترادف عليهم من البرتقال (البرتغال)، فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسراً ونهباً ، ويأخذون كل سفينة غصباً ، الى ان كثر ضررهم على المسلمين وعم اذاهم على المسافرين فأرسل السلطان مظفر شاه بن محمود شاه بن محمد شاه بن احمد شاه سلطان كجرات يومئذ (٩١٧ – ٩٣٢هـ = ١٥١١ – ١٥٢٥م) الى السلطان الاشرف قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ = ١٥٠١-١٥١٦) ، يستعين به على الافرنج)[٣٤].

والنهروالي معروف بمعاداته لقومه ، اما الشخص الثاني الذي يتهم الملاح ابن ماجد هو فيران G. Ferrand* ، وبالرغم من المدة الزمنية الطويلة بينهما ، فمتزجت اتهامتهما في شكل واحد معاً . وان اتهام النهروالي لابن ماجد مجرد نصيحة سكران لكبير الافرنج (الملندي) بقوله (لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا في البحر ثم عودوا ، فلا تتالكم الامواج). اما متى واين هذه النصيحة، ومن هو (الملندي)، فجاء فيران

وحدد مكان اللقاء في ميناء ملندي وبتاريج الثاني والعشرين من نيسان ١٩٤٨م، وشخصية الملندي هو فاسكو دي غاما بذاته ورفع تهمة السكر عن ابن ماجد ليثبت خيانة للمسلمين وهو في كامل قواه العقلية ، وزاد على التهمة انه قاد فاسكو دي غاما من ملندي الى كليكوت[٣٥]. وايضا اتهم الملاح ابن ماجد بالتهمة نفسها المؤرخون الروس منهم كراتشكوفسكي وشوموفسكي ، فقد حمل ابن ماجد مسؤولية قيادة الاسطول البرتغالي الى الشرق وتهديده للمصالح العربية والاسلامية في المنطقة[٣٦].

واذا تجاوزنا رواية النهروالي وما فيها من جبال القمر وعادت اهل بحر النيل في غرب افريقيا والمضيق احد جانبيه جبل والجانب الثاني بحر فكيف يكون مضيقاً، اما السفن البرتغالية ، كانت تتكسر قبل وصول البرتغاليين الى تلك المياه، وبقيت تتكسر حتى اجتماع احمد بن ماجد والملندي ، وهو ما لا يؤكدو مؤرخو البرتغال ، ويبقى وصول غراب برتغالي الى الهند قبل اجتماع احمد بن ماجد والملندي ، والملندي اما انه فاسكو دي غاما كما يدعى فيران ، اذن الاجتماع تم بعد وصول فاسكو دي غاما الى الهند وعودته منها ، ولذلك فأحمد ابن ماجد لم يتول قيادة سفنه الى الهند ، والملندي ربما شخص آخر غير فاسكو دي غاما ، اذن الملاح ابن ماجد لم يتولى قيادة سفن فاسكو دي غاما، ولم يلتق به، وانما التقى شخص آخر غيره.[٣٧] وان النهروالي لم يحدد المدة التي تعرضت سفن البرتغال للمتعاب الى ان وصلت سفينة شراعية الى الهند، بقوله " استمروا على ذلك مدة " ، بينما الملاح ابن ماجد حددها بسنتين حيث يقول :

جارتها في عام تسعماية مراكب الافرنج يا خاية

تجيز عامين كاملين فيها ومالوا الهند باليقين [٣٨]

من هذا نتوصل الى ان النهروالي يتهم احمد بن ماجد بارشاده للبرتغال وهو في حالة سكر، اذا كان هذا صحيحاً فكيف يستطيع من يفقد ادراكه العقلية ان يرشد الى الطريق الصحيح لوصول البرتغال الى الهند ؟ علما ان علاقة ابن ماجد مع البرتغال لم تكن جيدة ، اذ يصفه باراجيزه واعماله بالفجرة فكيف يكون صديق لهم ويرشد بهذه البساطة لطريق تعتذر عليهم وصوله .

ب- روايات المصادر الأخرى:

المصادر التي نعني بها المصادر العربية والمصادر التركية والمصادر الهندية والمصادر البرتغالية .

فالمصادر العربية توضح ان كل الذين كتبوا في هذه الفترة لم يذكروا الملاح احمد بن ماجد بسوء او تهمة مثل النهروالي، وخاصة المصادر المعاصرة للحدث واهمها مؤلفات سليمان المهري[٣٩].

اما المصادر التركية ولا سيما القديمة، فقد كان يتوجب على النهروالي ان يترجم ما وجده في المؤلف المنظوم باللسان التركي الذي قدمه إليه سنان باشا فاتح اليمن ليعتمد عليه في كتابه (البرق اليماني)، والمصدر التركي هو كتاب (المحيط) للأميرال التركي سيدي علي شلبي (ت ٩٥٩-١٥٥٢) ، قائد الاسطول التركي الذي ارسل للهند لطرد البرتغاليين منها، والذي كتب بعد ابن ماجد بخمسين عاماً وكان معاصراً لقطب الدين النهروالي[٤٠]، واثنى بكل اجلال على الملاح ابن ماجد ويعتمد عليه في ما كتبه ويصفه بمعلم المحيط الهندي ولا يذكر شيء عن ارشاد الملاح ابن ماجد للبرتغاليين لطريق الهند.[٤١]

اما عن المصادر الهندية القديمة والحديثة ، اذ ان زلزال لشبونة عام ١٧٥٥ دمر قصر الهند الذي احتوى على الوثائق التي تؤكد ان (كاناكا) هو ابن ماجد او شخص اخر غيره[٤٢]، وشخص واحد من المؤرخين الهنود فقط لم يقبل تهمة شخصية عظيمة مثل الملاح ابن ماجد في ارشاده للبرتغاليين.[٤٣]

وفي المصادر البرتغالية والكتاب البرتغال لا يوجد واحد منهم يذكر اسم ابن ماجد وخاصة في مؤلفاتهم المعاصرة ، فبعضهم يشيرون الى من ارشدهم اسمه ماليمو كاناكا Malemo Ganaqua [٤٤]، وكلمة (ماليمو) وتعني في العربية(معلم) أي رئيس البحارة وشائع استعمالها في المحيط الهندي ، وكلمة (كاناكا) كلمة هندية تعني في العربية (منجم)، اما البعض الآخر من المؤرخين البرتغال يدونون ان من أرشدهم يسمى (مسلم من كجرات) بينما ابن ماجد عربي من نجد ، وان البرتغاليين كانوا يميزون بين مسلمي الأقطار المختلفة.[٤٥]

جـ- آراء الكتاب والمؤرخين العرب في دحض تهمة ابن ماجد:

للأسف بعض من الباحثين والمؤرخين اثبتوا التهمة على الملاح ابن ماجد وبرروا عمله بعدة اعتبارات وظروف واحداث ، الا ان البعض الآخر لم يقتنع بتلك التهمة ويحلل اخطاء الصاق تلك التهمة ، ومنهم :

الدكتور عبد الهادي التازي يقول (ان هناك ثلاث اشارات تجعلني اقف ازاء نقل النهروالي: اولهما: ان النص المنسوب للنهروالي يسوق ظروف التعرف على دي غاما

على هذا النحو: ان الملاح العربي المسلم كون صداقته مع دي غاما حيث اصبحا معا يعاقران كؤوس الخمر وان الملاح البرتغالي اغتنم ذات يوم فرصة اغراق ابن ماجد في السكر فاستل منه المعلومات التي كان يبحث عنها للتغلب على اخطار البحار. وقد صعب علي جدا ان اتصور معلمة كابن ماجد له من المركز ما تعرف، وله من الثقافة ما نعرف يصغر لدرجة ان تستل منه الخبرة بواسطة هذه الطريقة الرخيصة .

ثانياً: اننا نعلم سلفا عن اعتقاد ابن ماجد العربي الاصيل في البرتغاليين وعن مدى (عواطفه) ازاء غزوهم الماحق ليس فقط لمنطقة الخليج ولكن لمنطقة المحيط ، فهو ينعتهم بالفجرة في ارجوزته ، وهو يلهب عليهم شعور القادة المغاربة حتى يزيدوا في الانتباه الى مطامع لشبونة في الجزيرة الايبيرية ، وفي العدوة المغربية ، وما اضن ابناء الجزيرة العربية ينسون قول ابن ماجد في شعره :

وساحل البحر وكل جزره فحكمها للبرتغال الفجرة

وهو الذي قد قهر المغاربة واندلس في حكمه مناسبة

فهل تتحول مشاعر ابن ماجد بين عشية وضحاها لمسالمة الفجرة ، وهل انه لم يكن يعرف عن نوايا دي غاما ؟!

ثالثاً: ان ابن ماجد بالرغم مما الفه نظماً ونثراً لم يرد في سطر واحد من كتبه الموجودة وهي تبلغ اثنين وعشرين مؤلفاً – الاشارة الى انه كان هاديا لفاسكو دي غاما من ماليندي (الافريقية) الى كاليكوت الهندية على ما يقول الأستاذ مقبول احمد بالرغم من معرفة ابن ماجد عن محاولات البرتغال لاقتحام المحيط الهندي عن طريق ما كان يسمى بالمدخل او راس الرجاء ان الحقيقة الناصعة عن مساهمة العرب بل عن تمرسهم اكثر من غيرهم في علم البحار لا تحتاج في نظري الى المساعد على ادراج ابن ماجد في حظيرة المتواطئين المتعاونين على الاستغلال والتسلط او بالحري لا تسمح بقبول رواية منادمته لاقوام نعتهم باسواء النعوت .

وهكذا فاني مع الذين يتشككون فيما نقله النهروالي في كتابه (البرق ...) ومع الذين يسمحون لانفسهم بمطالبة (صاحب البرق) في المصدر الذي استقى منه هذه المعلومات .. والى جانب الذين يرون في اهتداء فيران استغلال قد يكون هدفه في نظري ايضاً تقديم قما على انها وهاد واطئة يسهل الركض فيها بسهولة متى حضر كأس شراب ! ومع كل هذا فأنني أؤكد على انني انشد الحقيقة.. والحقيقة فقط) [٤٦].

يذكر الدكتور عبد الهادي التازي ، ان فترة ما بين (يوم الثلاثاء ٢٤ أبريل ١٤٩٨ وبين يوم الاحد ٢٠ مايو ١٤٩٨) التي ذكرها فيران انها كانت موعداً لعبور دي غاما صحبة احمد بن ماجد .. وهي نفس الفترة يؤيدها شوموفسكي بوضع خريطة توضح الامكنة الموجودة في (ارجوزة السفالية) لابن ماجد ، يحللها الدكتور عبد الهادي من وجهته نظر اثنين : اولهما : ان التاريخ المفتوح الذي حدد فيران والمؤرخين معاً ، اقتصر على التاريخ الميلادي دون التاريخ الهجري ، متعمداً ليقوي حجة على ابن ماجد ، مع العلم ان المستشرقين حريصون في بحث التواريخ الهجرية. وان المصادر البرتغالية ذكر اسم المعلم (كاناكا) ولم تذكر اسم ابن ماجد ، الا ان فيران يناقش المؤلفين البرتغاليين القدامى ويعتقد انهم مخطئون ولا يفسر اخطاءهم . ثانيهما : ان هذه الفترة الوحيدة التي لم يدون ابن ماجد معلومات عنها في السفالية ، بالرغم من انه تحدث عن الفترة التي قبلها (٩٠٠ – ١٤٩٥) وما بعدها (٩٠٦-١٥٠١) ، وهي الفترة التي حدد فيران فيها السنة والشهر يؤيد شوموفسكي ، وعدم تدوين ابن ماجد للحدث الهام في عبور فاسكو دي غاما للمحيط الهندي في رمضان عام ٩٠٣ هـ أي مايو ١٤٩٨ ، ثم عود البعثه الى لشبونة بعد سبعة شهور ، لان ابن ماجد كان في وداع بيت الله الحرام ، وهذه الفترة في شهر رمضان هو دليل كاف لعدم اثبات سكر هذا الملاح. أي ان صلة احمد بن ماجد وفاسكو دي غاما لم تكن صداقة ، لكن البرتغال استفادوا من (المرشدات البحرية) لابن ماجد ومؤلفاته واثاره العلمية التي كانت رائجة ومستعملة في ذلك الوقت بين البحارة في الخلجان والبحار والمحيطات ، وقال عن مؤلفات ابن ماجد الاميرال التركي سيدي علي ريس عام ١٥٦٢ في كتابه (المحيط) : (انه كان من الصعوبة بمكان ان يبحر المرء في الممرات المائية وان يخترق المحيط الهندي دون الاستعانة بأمثال تلك الكتب)، وهكذا فان صلة احمد ابن ماجد وفاسكو دي غاما عن طريق ما قال وما أفاد وليس عن طريق صداقته مع فاسكو دي غاما.[٤٧]

يتحدث الاستاذ على التاجر قائلاً (اننا اذا تجاوزنا الأسطورة النهروالية الفرانيه من كلام لا طائل خلفه من جبال القمر وعادة اهل بحر النيل في غرب افريقيا ، وعن مضيق العجيب الذي امد جانبيه جبل والجانب الثاني بحر الظلمات (كيف يكون مضيقا اذا كان احد جانبيه بحر)، يتبقى امامنا امر السفن البرتغالية التي كانت تتكسر قبل وصول البرتغاليين الى تلك المياه ، وبقيت تتكسر بعد ذلك حتى تاريخ ذلك الاجتماع المزعوم بين

احمد بن ماجد والملندي وهو ما لا يقره مؤرخو البرتغال ، ويبقى وصول غراب برتغالي الى الهند قبل ذلك الاجتماع المزعوم). ان هذه الملندي الذي اجتمع مع احمد بن ماجد في شرق أفريقيا هو فاسكو دي غاما نفسه ، كما يزعم فيران، اذن الاجتماع لم يحصل الا بعد وصول فاسكو دي غاما الى الهند وعودته منها ، ولذلك فلا يمكن ان يكون الربان الذي قاد سفنه الى الهند هو احمد بن ماجد ، لانهما لم يلتقيا الا بعد عودة فاسكو دي غاما من الهند ، ويرجع الأستاذ علي التاجر ان فاسكو دي غاما التقى بشخص اخر غير احمد بن ماجد . ويدعم آراء ثلاثة علماء هو الدكتور عبد الهادي التازي والدكتور انور عبد العليم والأستاذ محمد جابر الأنصاري. (٤٨)

الدكتور ابراهيم خوري في كتابه (احمد بن ماجد) دحض كل الاتهامات الموجهة لهذا الملاح ، ففي المقدمة يتصدى لوثيقة النهروالي بقوله (وثيقة النهروالي مكتوبة بعد ثمانين عاماً تقريباً من وصول البرتغاليين الى الهند ، ويظن بأن النهروالي نقل بعض وقائع كتابه عن ابن الديبع الذي يسميه (الفقيه الأجل الحافظ المحدث المؤرخ الشيخ وجيه الدين عبد الرحمن بن الربيع) ويذكر مصنفه (الفضل المزيد في تاريخ اهل زبيد)، وعاصر ابن الديبع الأحداث البرتغالية وتكلم عما جرى منها من عام (٩٠٨هـ-١٥٠٣م) أي بعد انقضاء خمسة اعوام على رحلة فاسكو دي غاما الأولى، ولا يشير الى فاسكو دي غاما ولا الى احمد بن ماجد . واخيراً : تتعارض رواية النهروالي مع ثناء أمير البحر علي بن الحسين * (٩٧٠هـ-١٥٦٢م) على احمد بن ماجد ولا يتهمه بارشاد الفرنج ، وترجم كتابه (المحيط) لاحمد بن ماجد قبل تأليف النهروالي كتابه (البرق اليماني) بربع قرن .(٤٩)

ويرد الدكتور ابراهيم خوري على ادعاءات شوموفسكي في الارجوزة السفالية لابن ماجد الذي ذكر فيها هذا البيت (هي سبعماية ، بيت يزيد عنها عن احمد السعدي احفظنها) أي ان عدد ابيات الارجوزة ٧٠١ بينما عدد ابيات الارجوزة في مخطوطة لينغراد ٨٠٧ بيت ، أي ان ابيات اضيفت للسفالية بلغ عدد (٨٠٧-٧٠١ = ١٠٦) ابيات التي تناولت اخبار الفرنج .(٥٠)

د- مرشد رحلة فاسكو دي غاما:

الكثير من الباحثين والمؤرخين اتهموا احمد بن ماجد هو الذي ارشد فاسكو دي غاما الى الهند ، واعتمدوا في طروحاتهم على النهروالي ، بالرغم من ان النهروالي لم يعاصر الاحداث ودون رواية بعد مرور ثمانين عاماً على رحلة فاسكو دي غاما الى الهند ، ولم يوضح لنا وثيقة او سبب مهم سوى قضية سكر احمد بن ماجد .

اما الدراسات الحديثة وضحت هذه التهمة المنسوبة للملاح احمد بن ماجد، منها كتاب عنوانه (فاسكو دي غاما) للبروفيسور ايدغر برستيج (Edger Prestage) يقول فيه (وباحتجاز الخادم الخاص للسلطان، حصلنا على مرشد غجراتي حسبناه مسيحياً) وهذه المعلومات التي حصل عليها البروفيسور من يوميات الرحلة الأولى لفاسكو دي غاما عام ١٤٩٧-١٤٩٩م، والفضل في نشر مخطوطة اليوميات للسيدين ديوغو كوبك Diogo Kopke والدكتور انطونيو داكوستا بايفا Dr. Antonio da Costa Paiva، والمخطوطة في الأصل كانت في دير سانتا كروز في البرتغال ثم نقلت الى المكتبة العامة في البرتغال. ويوضح كوبك في نشره للمخطوطة انه لا توجد رواية كتبها فاسكو دي غاما، وان ما قدمه فاسكو دي غاما لا يتجاوز الا تقارير رسمية عن الحوادث التي قابلها، وهذه المعلومات موجودة عندما كتب جودي باروس Joao de Barros كتابه Decades ثم اختفت ولم يعثر على تلك المعلومات ، ومؤلف يوميات الرحلة هو ألفارو فيلهو Alvaro Velho الجندي الذي كان على السفينة والتي كانت بقيادة (بولو دي غاما) Paulo da Gama شقيق فاسكو دي غاما.(٥١)

والمخطوطة وهي في ملف مجلد بسيط في صحيفة قيمة وانها أخذت من بعض الكتب، حبر المخطوطة باهت قليلاً إلا أن قراءتها واضحة ، وتتكون من ٨٧ صفحة مرقمة برقمين مختلفين ، أي يوجد ترقيم لكل صفحتين معاً وترقيم لكل صفحة ، والمهم في المخطوطة هو نهاية تلك الرحلة (من الساحل الشرقي الافريقي الى ساحل الهند الغربي)، والفقرة الخاصة بالمرشد المسيحي فيها ما يلي: (في يوم الاحد التالي، والذي صادف ٢٢ أبريل ، صعد أمين سر الملك من السفينة ظافرة الى ظهر السفينة، ولانه لم يكن احد قد قترب من سفننا خلال اليومين السابقين . فقد قام القائد باعتقاله، وارسل الى الملك طالباً منه ارسال المرشدين الذين وعد بأرسالهم اليه. وفور تسلم الملك للرسالة أرسل له مرشداً مسيحياً، فاطلق القائد بعدئذ سراح الرجل النبيل الذي كان قد احتجزه في سفينته. ولقد سررنا كثيراً بالمرشد المسيحي الذي أرسله الملك لنا).(٥٢)

وفي نهاية البحث نتوصل الى براءة الملاح العربي احمد بن ماجد الذي اتهم بهذه التهمة، ولماذا هذا التحامل على الملاح احمد بن ماجد الذي ترك للبشرية منجزات وآثارا علمية وملاحية قيمة، وبدلاً من الثناء على ابن ماجد الصقت تلك التهمة به من قبل النهروالي ومن تبعه من المؤرخين والسبب ربما لسوء علاقته النهروالي مع البرتغال او

لتشويه شخصية الملاح ابن ماجد في العالم لشهرته الكبيرة ومنجزاته القيمة التي وصلت الى جميع انحاء العالم . ونعرض لكم الترجمة العربية لجزء من المخطوطة في الصفحة الأخرى .

الخاتمة

ونصل في النهاية من خلال عرض لاحداث البحث ، ان الملاح احمد بن ماجد نشأ في بيئة مكنته ان يصبح ملاحاً بارعاً ، والخبرة التي ورثها عن جده وابيه وزاد عليها من خبرته وعلمه مكنته ان يكون افضل الملاحين، ومؤلفاته البحرية التي نظمها شعراً، تعد افضل مخطوطة في (علم البحر) في العصور الوسطى وصلت العالم، وخاصة عن الملاحة في المحيط الهندي والتي تتعذر على من يجهل سر الرياح الموسمية في هذا المحيط ، لكن عرب الجنوب عرفوا هذا السر وتوارثه ملاحوهم جيلاً بعد جيل ، حتى اصبح الملاحون العرب ومنهم احمد بن ماجد هم المسيطرون على الملاحة في المحيط الهندي والبحر الاحمر .

اما آراء الكتاب الذين نفوا تهمة النهروالي لاحمد بن ماجد ومنهم ، الدكتور عبد الهادي التازي يذكر انهم استفادوا من مؤلفات ابن ماجد وعلمه المنتشر في ذلك الوقت. ويتحدث الأستاذ علي التاجر ان الاجتماع بين احمد بن ماجد وفاسكو دي غاما تم بعد وصول البرتغال الى الهند، وشخص اخر هو الذي ارشد فاسكو دي غاما. ويتصدى الدكتور ابراهيم للنهروالي بانه دون الحدث بعد مرور ثمانين عاماً، وثناء امير البحر علي بن الحسين الذي الف كتابه قبل ربع قرن من رواية النهروالي ولا يذكر احمد بن ماجد وقضية ارشاده للبرتغال .

والمخطوطة التي تثبت براءة احمد بن ماجد هي في ملف مجلد بسيط في صحيفة قيمة وانما اخذت من بعض الكتب ، وحبر المخطوطة باهت قليلاً إلا ان قراءتها واضحة ، وتتكون المخطوطة من ٨٠٧ صفحة مرقمة برقمين مختلفين .

في نهاية البحث، ارجو بهذا الجهد المتواضع اكون قد وفقت في توصيل الصورة الصحيحة عن شخصية الملاح العربي احمد بن ماجد .. ومن الله التوفيق.

الهوامش

١- عبد الرحمن حميدة ، اعلام الجغرافيين العرب ، دمشق ، ١٩٦٩، ص ,٤٦٩

٢- تيودور شوموفسكي ، ثلاث ازهار في معرفة البحار- احمد بن ماجد ملاح فاسكو دي جاما، ترجمة وتعليق د. محمد منير مرسي، موسكو، ١٩٥٧، ص٧٨؛ اغناطيوس

يوليا نوفتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، القسم الثاني ، القاهرة ، ,١٩٦٥

٣- حسام الخادم ، " ابن ماجد دوره في اكتشاف طريق الهند البحري ومظاهر التفكير العلمي في كتاباته " ، مجلة الوثيقة ، العدد ١٢، البحرين ، ١٩٨٨ ، ص ٢٥ .

٤- انور عبد العليم ، الفوائد في اصول علم البحر والقواعد ، القاهرة ، (د.ت)، ص٢٧٨ .

٥- تيودور شوموفسكي ، المصدر السابق ، ص ٧٨ .

٦- اغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ، ص ٥٧٣ .

٧- احمد محمد عطية ، " احمد بن ماجد المعلم والاستاذ والشاعر والفلكي والملاح ورائد علم المرشدات البحرية ، " مجلة الوثيقة ، العدد ٢ ، البحرين ، ١٩٨٣، ص١٥٨ .

٨- عبد الرحمن حميدة ، المصدر السابق ، ص ٤٧٩ .

٩- طارق نافع الحمداني، "ابن ماجد وارشاد البرتغاليين الى الهند رؤية جديدة"، مجلة الدراسات العربية ، الشارقة ، ١٩٩٠ ، ص ١٠٦ .

١٠- عبد الرحمن حميدة، المصدر السابق ، ص ٤٧٩ – ص ٤٨١ .

١١- انور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، الكويت، ١٩٧٩، ص,١٣٩

١٢- انور عبد العليم، الفوائد في اصول علم البحر والقواعد، المصدر السابق، ص,٢٧٥

١٣- اغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ، ص ٥٧٣ .

١٤- طارق نافع الحمداني، المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

١٥- احمد محمد عطية، المصر السابق ، ص ١٥٨ – ص ١٥٩ .

١٦- اغناطيوس يوليا نوفتشن كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ، ص ٥٧١ .

١٧- المصدر نفسه ، ص ١٥٩ .

١٨- عصام الدين عبد الرؤوف النقي، عمان وتاريخها البحري، عمان، ١٩٧٩، ص,٤٩

١٩- تيودور شوموفسكي ، المصدر السابق ، ٨٤ .

٢٠- احمد محمد عطية ، المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

٢١- اغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ، ص٥٧٧-ص٥٧٨ .

٢٢- حسين امين ، " احمد بن ماجد وجهوده في الملاحة البحرية " ، مجلة الوثيقة، العدد ١٣ ، البحرين ، ١٩٨٨ ، ص ١٥٥ .

٢٣- شهاب الدين احمد بن ماجد، العلوم البحرية عند العرب، (د.م)، (د.ت)، ص ٧- ص٩ ؛ انور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، المصدر السابق، ص١٤٤- ص ١٤٥ .

٢٤- حسين امين ، المصدر السابق ، ص ١٥٥ .

٢٥- المصدر نفسه ، ص ١٥٥ .

٢٦- اغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ، ص ٥٧٤-ص ,٥٧٥

٢٧- المصدر نفسه ، ص ٥٧٦ .

٢٨- شهاب الدين احمد بن ماجد ، المصر السابق ، ص ٩ .

٢٩- انور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، المصدر السابق، ص١٤٥- ص ,١٤٦

٣٠- حسين امين ، المصدر السابق ، ص ١٥٦ .

٣١- طارق نافع الحمداني ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

٣٢- اغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ، ص ٥٧٥ .

٣٣- عبد الهادي التازي ، " هل كان ابن ماجد في خدمة دي غاما " ، مجلة راس الخيمة ، العدد ٧٨ ، راس الخيمة ، مايو ١٩٨٠ ، ص ٣٤ .

٣٤- قطب الدين محمد بن احمد النهروالي الملكي ، البرق اليماني في الفتح العثماني، الطبعة الأولى ، الرياض ، ١٩٦٧ ، ص ٩٠ ؛

AN ADVANCED , History of India , London , 1958 , p 631 .

٣٥- علي التاجر، "ابن ماجد هل هو متهم ام بريء"، مجلة رأس الخيمة، العدد ٧٧، راس الخيمة، اذار ١٩٨٠، ص ٣٢، غبرييل فران Gabriel Ferrand: هو مستشرق فرنسي متخصص بتاريخ الملاحة الشرقية ومنها العربية ، وكتاباته تفتقر احياناً الى الامانة العلمية، واتفق مع النهروالي في اتهام الملاح ابن ماجد عام ١٩٢٢، بالرغم من الفارق الزمني بينهم ، وامتزجت اتهاماتهم في شكل واحد معاً.

٣٦- طارق نافع الحمداني ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

٣٧- علي التاجر ، المصدر السابق ، ص ٣٣ .

٣٨- طارق نافع الحمداني ، المصدر السابق ، ص ١١٣ .

٣٩- عبد الهادي التازي، ابن ماجد والبرتغال، الطبعة الثانية، عمان، ١٩٩٤، ص ,١٣

٤٠- المصدر نفسه، ص١٣-ص١٤؛ امين الطيبي، "من التراث الملاحة البحرية"، مجلة العربي ، العدد ٣٠١ ، الكويت ، ١٩٨٣ ، ص ٢٩ .

41- The New Encyclopaedia Britannica, Fifteenth Edition, Vol. 3, U.S.A , 1986 , p. 856 .

٤٢- عبد الهادي التازي، "هل كان ابن ماجد في خدمة دي غاما"، المصدر السابق، ص٣٤ .

٤٣- عبد الهادي التازي ، ابن ماجد والبرتغال ، المصدر السابق ، ص ١٥ .

44- A.H.De Oliveira Margves , History of Portugal , Vol . 1 , New York and London , 1972 , p . 226 .

٤٥- امين الطيبي ، المصدر السابق ، ص ٢٩ .

٤٦- عبد الهادي التازي ،"هل كان ابن ماجد في خدمة دي غاما" ، المصدر السابق، ص ٣٥ .

٤٧- عبد الهادي التازي ، ابن ماجد والبرتغال ، المصدر السابق، ص ٦٢-ص٦٨ .

٤٨- عبد الهادي التازي، "هل كان ابن ماجد في خدمة دي غاما"، المصدر السابق، ص٣٥ ، يدعم راءه ثلاث علماء وهم د. عبد الهادي التازي ود. انور عبد العليم في الحلقة ١٣ من سلسلة عالم المعرفة اصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت عام ١٩٧٩ ، والاستاذ محمد جابر الانصاري في مقاله المنشور في مجلة الدوحة وعدد ٣٨ ؛ يؤكد هذا الاجتماع في المصدر

Michael Edwardes , A History of India , London , 1961, p.147.

٤٩- سلطان بن محمد القاسمي ، بيان للمؤرخين الاماجد في براءة ابن ماجد ، مجلة الرافد ، العدد ٤٠ ، الامارات ، كانون الأول ٢٠٠٠ ، ص ١٠ .

٥٠- المصدر نفسه، ص ١١، امير البحر علي بن الحسين الملقب بعلي شلبي: هو الذي ذكر ان احمد بن ماجد من جلفار وكان هو قائد الحملة العثمانية ضد البرتغاليين في خليج عمان .

٥١- المصدر نفسه، ص ١١ – ص١٣. نشرت المخطوطة التي توضح براءة ابن ماجد في البرتغال، الطبعة الأولى عام ١٨٣٨ ثم الطبعة الثانية في لشبونة عام ١٨٦١، وترجمت في فرنسا الطبعة الأولى عام ١٨٥٥ والترجمة الثانية عام ١٨٦٤,

٥٢- المصدر نفسه ، ص ١٣ – ص ١٤ .